



ISSN: 2663-8118 (Online) | ISSN: 2074-9554 (Print)

Journal of Al-Frahedis Arts

Article Available Online: Iraqi Scientific Academic Journals, Open Journals System

Tikrit University

J.A.A | TU

College of Arts

Journal of Al-Frahedis Arts

Lecturer. Dr. Mohammed
Younis Salih *

E-Mail: mohammedywan518@gmail.com
Mobile: +9647701773740

Professor. Dr. Khalil
Shoukry Haiass ¹

E-Mail: phkhalil@gmail.com
Mobile: +9647701622613

Department of Arabic Language *
College of Basic Education
University of Mosul
Nineveh
Iraq

Department of Arabic Language ¹
College of Education
University of Al-Hamdaniya
Nineveh
Iraq

Keywords:

- Poetry
- Sexual Overlap
- Zuhair Barada
- Modern Poem

ARTICLE INFO

Article History:

Submitted: 20/02/2020
Accepted: 28/05/2020
Published: 01/09/2020

Tikrit University / College of Arts / Journal of Al-Frahedis Arts

My Eminence the Poetics of Variety Deception and The Interest of Searching for The Unseen

A B S T R A C T

The recent Arab poem has descended from the full recognition of what surrounds and enriches the philosophy of poetry and the novel fields it implies that determines its identity and embellishes the private environment surrounding it. Perhaps the susceptibility to the audiovisual and articulate propinquity is the best means for deception and the Interest of searching for the unseen on the semantic and artistic levels. Never has the accuracy of poetic idiosyncrasy together with its deep-rooted origins been away from the revolution of (Hadith saying) and ultimately a poem having a confusion in its concepts, levels and limits.

© 2009 - 2020 College of Arts | Tikrit University

* Corresponding Author: Lecturer. Dr. Mohammed Younis Salih | Department of Arabic Language, College of Basic Education, University of Mosul | Nineveh, Iraq | E-Mail: mohammedywan518@gmail.com / Mobile: +9647701773740

غبطة حضرتي شعرية المخاتلة الأجناسية ومتعة البحث عن المستور

المخلص

تتحدّر القصيدة العربية الحديثة من سلسلة إدراك تام للمحيط بفلسفة الشعر وحمولاته وما يجب أن ينطوي عليه من مجالات جديدة تحدد هويتها وتطرز مناخها الخاص، ولعل قابلية الانفتاح على المجاور القولّي والسمعي والبصري هي من خير أدوات المخاتلة ومتعة البحث عن المستور على الصعيد الفنّي والدلالي، ولم تكن دقة الخصوصيّة الشعريّة وما تلتف عليه من أصول جذرية بمنأى عن ثورة (الحديث)، وصولاً إلى قصيدة تثير لبساً في مفاهيمها ومستوياتها وحدودها.

© ٢٠٠٩ - ٢٠٢٠ كلية الآداب | جامعة تكريت

م. د. محمد يونس صالح *

البريد الإلكتروني: mohammedywan518@gmail.com

رقم الجوال: +9647701773740

أ. د. خليل شكري هياس¹

البريد الإلكتروني: phkhalil@gmail.com

رقم الجوال: +9647701622613

قسم اللغة العربية *
كلية التربية الأساسية
جامعة الموصل
نينوى
العراق

قسم اللغة العربية¹
كلية التربية
جامعة الحمدانية
نينوى
العراق

الكلمات المفتاحية:

- الشعر
- التداخل الأجناسي
- زهير بردي
- القصيدة الحديثة

معلومات المقالة:

تاريخ المقالة:

قدمت: ٢٠٢٠/٠٢/٢٠

قبلت: ٢٠٢٠/٠٥/٢٨

نشرت: ٢٠٢٠/٠٩/٠١

إشكالية التجنيس الأدبي:

تعد مسألة التجنيس الأدبي من المسائل التي شغلت حيزاً كبيراً من نظرية الأدب، وواحدة من الإشكاليات الجمالية المعقدة التي واجهت النقاد، وعلماء الجمال على مر العصور، فما زالت هذه المسألة على الرغم من كثرة الدراسات، من إفلاطون وأرسطو في العصور القديمة، إلى باختين وتودوروف وبنيتو كروتشه وجيرار جينيت في العصر الحديث غير حاسمة، إذ تمحورت الآراء في اتجاهين: إتجاه يؤكد على ضرورة التصنيف الأدبي للأجناس، ويؤكد على مغزى الجنس الأدبي، وقد ساد هذا التوجه منذ العهد الكلاسيكي، إذ سبق لأرسطو تقسيم الشعر إلى غنائي وملحمي ودرامي، وصولاً إلى جيرار جينيت الذي يرى أن هذه الثوابت الثلاثة الكبرى للنظام الأجناسي (الموضوعية، والصيغية، والشكلية)، هي التي "ترسم بكيفية معينة المحيط الذي يسير فيه تطور الحقل الأدبي، كما تحدد بطريقة شاملة حقلاً شبيهاً بـ (مخزن) تشمل الإحتمالات الأجناسية" (1) هذا التوجه من التأطير الأجناسي للنص الأدبي أثار ولا زال يثير حوله تساؤلات كثيرة حول صفاء الجنس أو النوع، وحول الإنغلاق الإجناسي الذي يعمل على بناء سور منيع لا يقبل بالمزاورة والتواصل بين الأجناس الأدبية.

الأمر الذي دفع باتجاه آخر يدعو إلى كسر الحواجز بين الأجناس الأدبية، وفتح بوابات النصوص الإبداعية للتلاقح والتزاور فيما بينها، مستددين في ذلك على رأي بنيتو كروتشه الذي يؤكد على أن كل عمل حقيقي يكسر قوانينه الأجناسية والنوعية من جهة، (2) وعلى رأي شتايفر الذي ينفي تماماً وجود أعمال أجناسية أو نوعية خالصة (3)، وصار احتفاظ كل جنس بحدوده المرسومة موضع شك كبير، فلم يعد الشعر مثلاً جنساً نقياً مطلقاً، يتمتع على الأجناس الأخرى اختراقه أو التغلغل داخل حدوده الخاصة به، وبات النص الشعري قادراً على استيعاب الكثير من خصائص النصوص السردية (4)، حتى صارت الحدود بين الشعر والنثر كما يقول ياكوبسون (اقل استقراراً من الحدود الإدارية للصين) (5)، وهذا كله يصب في صالح إستحالة صفاء الجنس أو النوع الأدبي، كما يدعم دعاء كتابة النص المفتوح العابر للجنس والنوع، ومنهم مورييس بلانشو الذي ينفي أن يكون هناك وسيط بين النص الأدبي وبين الأدب برتمته، كما لم يعد الهدف أو الغاية من رسالته مقتصرًا على بلاغته النصية وحدها، أي الاحتفاء باللغة وتفجير فضاءاتها المجازية.

ولعل من أكثر الأجناس الأدبية استجابة لهذا التوجه الانفتاحي للنصوص الذي يسمح بتلاقيات أجناسية وأنواعية كبيرة هي جنس السيرة التي باتت اليوم تكتنز في طياته عشرات الأنواع السيرية، إذ تشتغل النصوص السيرية في أغلبها إشغالا تلاحقياً مع النصوص السردية والشعرية معاً على نحو تخلق معها أنواعاً أدبية أخر لها خصوصيتها النوعية المتشكلة من تهجين نوعين أدبيين، من مثل امتزاج السيرة الذاتية مع الرواية لتفرز لنا نوعاً خاصاً هو السيرة الذاتية الروائية أو الرواية السيرداتية مع ملاحظة الفرق بين النوعين، ومن مثل امتزاج السيرة الذاتية مع الشعر لتشكل لنا قصيدة السيرة الذاتية التي هي ممارسة إبداعية مهجنة من فنيين أدبيين هما السيرة الذاتية والشعر، وغيرها من التلاقيات حتى صارت القراءة الأجناسية لبعض منها أمراً شائعاً ومعقداً، أفرزت معها

إشكاليات قرائية أثرت النصوص ومنحتها شعرية خاصة، نابعة من فاعلية التهجين النوعي بمعناه الإيجابي الذي يعني تركيب نوعي جديد "يستمد عناصره من مرجعيات معروفة، وإعادة صوغها على وفق قواعد مغايرة"⁽¹⁾، تعمل على إرساء آليات وركائز قرائية جديدة. تمنح النص رؤية ولذة قرائية خاصة.

مباغثة النص الشعري:

نص غبطة حضرتي واحدة من النصوص التي تحمل إشكالية تجنيسة على الرغم من حرص المؤلف على تقديمه للميثاق القرائي المتجلي في العنوان المذيل أعلى عتبة العنوان الرئيس (شعر)، إلا أن القراءة الأنواعية لها لا تطمئن كثيراً لهذه الوجهة القرائية التي تريد قيادة دفة القراءة نحو منطقة السرد، على الرغم من سعة وتشعب هذه المنطقة القرائية، وانفتاحها على الماحول الأجناسي الذي جعل من الشعر اليوم يتخطى منطقة الجنس النقي بعد أن تفرعت أغصانه وتشعبت إلى أنواع جديدة كثيرة نتيجة تلاقه مع الفنون المختلفة القولية والسمعية والبصرية أهلتها إلى مثل هذا التحول، هذا فضلاً عن ركوبها موجة ما بعد الحداثة التي عملت على كسر القالبية وهمشت مراكز القوى في الشعر على نحو جعلت منها نصاً مفتوحاً يمكن قراءتها من زوايا متعددة.

زهير بهنام بردى حريص في هذا العمل على التوجه لما بعد حدائثي الذي يعمل على فتح آفاق النص على شعرية التمتع والمخاتلة التي تجعل القارئ في قلق وارتباك قرائي إذا ما حاول البقاء أسيراً للقراءة الأجناسية التقليدية التي لا تقبل بكسر تقاليد القراءة الشعرية، فبمجرد دخوله إلى عالم النص يفلت من بين يديه خيوط القراءة النوعية إلى آفاق رحبة من القراءة المفتوحة التي تصعب معها الإمساك بزمام القراءة لتشكيل رؤية قرائية واضحة المعالم فيما يخص الآليات والأدوات المشكلة لأدبية النص.

ولعل الصدمة القرائية الأولى كامنة في قلب معادلة التلاحق بين الأنواع القائم على الحفاظ على العمود الفقري للنوع الذي يكتب فيه الأديب، فإذا كان يكتب في الشعر يحافظ على الجانب الشعري للنص مع الأخذ مثلاً من السرد على نحو يمكن ملاحظة السرد في الشعري، وإذا كان يكتب في السرد يحافظ على الجانب السردى مع إمكانية الأخذ من الشعر على نحو يمكن ملاحظة الشعري في السرد، لكن زهير في مجموعته هذه يعقد ميثاقاً مع القارئ على أن ما تضمنه هذه المجموعة تنتمي إلى عالم الشعر، ثم يتفاجأ القارئ في المتن أن المتسيد في هذا النص هو السرد وليس الشعر فضلاً عن تلاحقات أخرى مع فنون القولية والسمعية والبصرية، ومن هنا تأتي شعرية التمتع لترسم بمهارة عالية خيوط النص وتفتح أبواب النص مشرعة على الماحول الأجناسي.

أَتَقَدَّمُ ببطء تحت النافذة المعتمة. صدفةً كانت تسخرُ من الناس.

أَقْتَرِبْتُ بوجلٍ كان يبيلني غصنٌ متدلي. تعلنُ المرجوحة

رغبتها في الاهتزاز الكونُ على سعة الضيقة.

الواحدة إلا قليل. بعد نصف إغفاءة الظلام حجر والضوء بالكاد

حبّات كرز، اختلسُ من خلل الستار ما يناسبني فيك من ثقب،

وانظر إلى وشمٍ منك في شكلِ برقِ ذابلاً ومثيراً ينحني إليّ،^(٧).

يتدرج الخطاب الشعري في قصيدة (وكأني وحدي سويّة)، تدرجاً متتامياً نحو السرد عبر جمل فعلية حركية تقود دفّة النص نحو السردية (أتقدّم، أقتربت، تعلن، أختلس، أنظر، ينحني)، وتبدو فاعليّة الدلالة الاستمرارية واضحة بين الأفعال، وهي لا تخلوا من الحذر في المزوجة بين المناخ الشعريّ والفضاء السردية، يظهر منذ الاستهلال الحكائي الذي يتقدّمه الراوي الذي يحاول الهيمنة وتغييب الصوت الشعري، وتوالي الأفعال في (أتقدم، اقترب، أختلس، تعلن، أنظر، ينحني)، ينذر فضلاً عن حضورها السردية بحركة أيقاعية يفعلها نمط اللفظ ومرجعياته الدلالية والحركية على صعيد الجسد، في نيّة للإفصاح عن إطار شعري متذبذب، لكنّ ديناميّة الافعال ما تلبث أن تحرك الجسد نحو حيّز مكاني مغلق تعمل في المشهد بمعنيّة الديكور تتجح في خلق صورة المباحثة، كما يدين لتمثيل الجسد تمثيلاً إيقاعياً يفيد من طاقة الرغبة بوصفها ثيمة (بيللني، متدلي، الاهتزاز، ينحني إليّ)، لتشكيل صورة بصرية - سمعيّة مشتركة، وسردية شعرية في آن.

الطبقة الثانية من القصيدة تشتغل بوعي أكثر نحو مضامين مباحة النص الشعري مباحة حرّة وأصيلة، وتبدو علامة الترقيم النقطيّة (.)، أكثر فعالية بالإنذار بانتهاء الجمل الشعريّة، لكن هذا الانتهاء يهيئ للبدء بجملّة سردية بإحالتها الحكائيّة إلى ما قبل النقطة، إذ تتفتح على نسقين متفاوتين يمثّل أحدهما جماليات الجملة الشعرية منفردة، وتقانات القالب السردية مشتركة إلى حدٍ ما.

وأذبلُ كذلكُ بجرأتي النحيلة وموقد تحت ثوبي ورشّات ماء. يداي تطيران. تصعدان
سُلمًا جنب البيت. يجلسُ منذ حول ويكتظُّ حوله العشبُ بكثافة مذاقي أن، أمّ يدي الواحدة إلى
قميصِ النوم. وتنشغلُ الأخرى. بإزاحة قميصِ النوم الشفافِ الملقى على الشرفِ الأصفر
السعيد والجسد. أعرفُ حتماً سيدبل وبفداحة أكملُ مذاقات وأنا لم أتم منذ سرٍ بيننا. يستحي
أنفراطك المذهل تبعاً. لموسيقى تتدفقُ في الأصل من طولك الوتر في أحد مئي. كان معك
على نحو واضح. كعادته يتلاشى في حمى مئي

ترشفُ عريك بغنج. ومن غير مأوى. يلتفتُ إلى أصابع يدي^(٨).

تنتفح دائرة السؤال الشعري وحدود السرد على شبكة متجانسة أساسها الدلالي الجسد واللعب باللغة إذ "تلهب اللغة الشعرية الخيال الجسدي للقصيدة، وتفجر تطلعه الأيروي نحو الالتفات على الفضاء المتاح، والتماهي مع لذائذه ونزعاته المتجهة إلى فيض الجمال والمتعة"^(٩) وهو ما يمكن أن ترصده الكاميرا المتحرّكة التي تسعى نحو الافادة من الوصف واللغة والحركة الإيقاعية الكامنة في كل منهما: (أمّ يدي الواحدة إلى قميصِ النوم. وتنشغلُ الأخرى. بإزاحة قميصِ النوم الشفافِ الملقى على الشرفِ الأصفر السعيد والجسد)، إذ تقود العلامة الطافحة للفعل الأيروي نحو طبقة أكثر عمقاً محاولاً استقزاز الآخر الموازي متعة ورغبة (أعرفُ حتماً سيدبل، يستحي أنفراطك المذهل تبعاً).

ان تتنازع مفردات النَّص / الجسد تشغل شبكة مستويات إيقاعية وصورية وسردية وبيدو فعل أدراجها تحت قائمة واحدة هو انشطار الذات نحو أكثر من احساس يتحرك بكل طاقته لتمثيل الجسد تمثيلاً يفيد من اسلوبية التعبير الشعري الواضح.

في حيِّ قرب شورش يميلُ عليه بنشوةٍ عشِّ قَبجٍ يقرأ طولَ الليل سيرة عاشقين أختفا
كالغرائقِ خلفَ هندرين وأدارا القمرَ صوبَ نافذةٍ تضيءُ كلامَ اغنيةٍ تركاها فوقَ مقعدٍ من
خشبِ الزانِ وأضاءا على عموديه سبعَ عيون زرقاء وغسقاً من رخامٍ ووردةً من كرمه. نما
فيها الليلُ والنخلُ والرُّزُّ والبلوطُ والجوزُ وخاتم من جمانٍ وقارورة لأبعادِ الجان. والأنس
والحسد وأصابع تدورُ حولهُ كطائرٍ لوزٍ وعندليبٍ شجرٍ يحتفي بعوسجةٍ وغيوم. كان ذلك
وقت شَمَمْتُ الشَّمَامِ في حقلِ الكلامِ على ظهرِ حوتٍ ظريفٍ في بحرِ شارعِ النجفي، يحاذي
سورَ نينوى المزدانِ ببواباتِ مجدٍ في بابِ شمسٍ ونركالٍ والطوب، وقبلها من ثمرِ غابةٍ تحت
قلعةِ أربائيلو. أنحيتُ في القَدَّاسِ ليسجدَ لي الكلامِ والضوءُ من أصابعي في معبدٍ. يُطوِّقه الربُّ
بذراعين وقوسِ تعاويذٍ في الكَرَادَةِ وكاتدرائيةٍ مريم يبللها دجله. ويمنحها ماءً مقدَّسا من جرنِ
أجدادنا. ورحتُ أرسلُ التمامَ السبع من سبعِ كنائس (١٠).

عتبة العنوان (سيرة غريب) التي تعطي النص الذي اقتبسنا منه المقطع أعلاه، عتبة سردية سيرية، وهي تطلُّ على توصيف مكاني عام غير محدد بهشم إطاره ويغيبه إلى حدِّ ما (قرب شورش)، وعلى الرغم من حضور السرد بقوة وفاعلية كبيرتين فإن المناخ الشعري له حض وره أيضا وتأثيره في حدود الحكاية وطابعها التقاني، فهو يعمل على تشعير نوعي للسرد يجعله أكثر إنتاجاً للدلالة مع تعميق له، كما يعمل على تشذيب السرد وتخليصه من المباشرة ومن الزوائد وهو جزء من مشروع المباغنة الذي يسعى إلى مجال أرحب وأوسع بطريقة (توحي) أن الكلام (شعر)، لكن على مستوى افادتها من تقانات القص ومخرجات الفعل الحكائي تعمل على معطيات واضحة وقارة في أصل البناء السردية.

العنوان لعبة التخالل ومتعة البحث عن المكنون:

عتبة العنوان عتبة مطاطة وحرّة في مسعاها إلى إعادة إنتاج النص أي كان، على الرغم من كونها "بنية شديدة الافتقار لا تكتمل إلا ببنية النص الذي تضيئه، لذا لا يمكن عدّها بنية مستقلة عن نصه" (١١) وهي تتداخل مع فلسفات الفن عمومها في نسيج بنيوي واحد يبحث عن "المنظومة السؤالية التي يتكفل الفن بإثارتها، وهذه العلاقة تتفق في الناحية التي تنحوها من وراء هذه (المادئية) المغايرة وإعادة الخلق من خلال هدم الموجود وذلك بعمليةٍ عصبيةٍ على التعريف وإعادة بنائه بذات العملية" (١٢) إعادة تدفعك "إلى أن تعيد قراءة شيء كان مألوفاً لديك، بل هو جزء من ثقافتك، ولكنه يغريك بإعادة قراءته، لأنه بفجر فيك طاقات جديدة، وكأنه مع العنوان يبدأ فعل القراءة، ومن ثم فعل التأويل، فالعنوان إذاً ذو حمولات دلالية، وعلامات إيحائية شديدة التنوع والثراء، بل هو نص مواز، كما هو عند (جيرار جنيت)" (١٣).

في عتبة عنوان الرئيس للمتن قيد الدرس ثمة تسيد السرد يتمظهر في الأسلوب الوصفي الذي يعد ركيزة مهمة من ركائز السرد، وهذا المنحى الصياغي لم يكن لمجرد المغايرة والمسايرة الكتابية التي نجدها سائدة هذه الأيام، وإنما جاء ليحمل قصدية عالية تبدو ملامحها من العنوان (غبطة حضرتي)، التي تكشف عن عنوان تجنيسي أي أنه يحدد بطريقة ما النوع الأدبي الذي ينتمي إليه، فحضور ياء النسب في حضرتي تكشف عن ذاتية عالية تصل حد التأويل النرجسي الذي يتعمق أكثر مع قراءة المفردة بمعنية المفتتح العنواني (غبطة) التي تعني فيما تعنيه تمنى المرء مثل ما للمغبوط من النعمة من غير أن يتمنى زوالها عنه، لكن ثمة مدلول آخر للعنوان هو مدلول ديني يتعلق بمفردة غبطة التي تعد من مفردات التبجيل لرجل الدين المسيحي وعندما يتصل بالذات الشعرية حتما تبرز الجانب النرجسي الكبير لهذه وانعكاساتها في نصوص هذه المجموعة، وهذا المنحى من التأويل يقودنا إذا ما قرأنا العنوان بمعنية النصوص الموعلة في الذاتية إلى قراءة مرآوية تقف فيها الذات قبالة مرآة النص لتتنظر إلى نفسها بزهو وإعجاب كبيرين من جهة، وقراءة تقترب كثيرا من منطقة السيرة الذاتية لتخلق بذلك نوعاً أدبياً جديداً يزاوج بين الشعر والسيرة أو بين السيرة والشعر إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار تسيد السرد على الشعر، والقراءة الموعلة في النص تسير بالفارئ نحو هذا التوجه شيئاً فشيئاً إلى أن يوصله إلى قناعة تامة بذلك عبر مؤشرات قرآنية سيرية تتجلى على نحو لا يقبل الشك مع حضور زهير وبعض من أفراد عائلته بمعنية أماكنهم بغديدا كرمش والكنيسة وشورش وقلعة اربائيلو وباب شمس ونركال وبيت الجد. وهذه هي ميزة عناوين السيرة الذاتية التي تتجلى في كونها مزدوجة الوظيفة (موضوعاتية ونوعية) ولكن بطريقة ضمنية، ف(الأيام) مثلاً تحيل إلى مضمون النص، وإلى نوعه الحكائي الاسترجاعي، وكذلك (حياتي) لأحمد أمين^(١٤).

غبطة حضرتي وهيمنة الفضاء السردية:

من هنا تأتي قراءتنا للنص من زاوية قرآنية مغايرة تستند على رؤية قرآنية مركزية تستمدتها من هيمنة التفاصيل السيرية التي شكلت المادة الخام لنص زهير، ولعبت الذاكرة دوراً رئيساً في استحضارها من الماضي البعيد إلى الحاضر، وتقديماً إلى مختبر الرؤية لتعيد إنتاجها من جديد في محاولة من المؤلف لبث الحياة فيها والعودة ثانية لعيشها في النص، بعد أن كان قد عاشها على أرض الواقع فيما مضى من الزمن. وهو في كل ذلك يسلك مساراً سيرداتياً تتخذ من الذكريات بوصفها نوعاً سيرداتياً وإطاراً نوعياً له.

يتجلى هذا واضحاً في نص سيرة غريب الذي تحضر فيه الذاكرة لتفعل فعلها في النص عبر استحضار جملة من الذكريات لولد كأنه زهير الشاعر في يوم ما، حين كانت الذاكرة بيد الجد المخمور الحالم الطيب وابنه بهنام الأفندي الذي يتولى زمام الأمور من بعده بعيداً هناك في بيته القديم بإربائيلو وقد حلق لحيته وبرم شاربه وارتدى البنطال وعمل في الحكومة، ثم ابتلى الولد زهير من بعده بألاف من الحكايات الغريبة، ليقفز على كنف الحب ويتسلق ظله كالفنارات والفرشات، وكالكمنجات تذرف اجنحتها لمطلعه والأحلام ترضع أصابعه.

يتجلى أيضًا في نص (مفاتيح بيتي يتكلم) الذي يذكرنا بديوان محمود درويش السيرداتي (لماذا تركت الحصان وحيدا)، فإذا كان بقاء الحصان في البيت بعد تهجيرهم عنوانًا لشموخ البيت والحفاظ على كرامته، فإن مفاتيح زهير هنا تقابل مكوث الحصان لتكون شاهدًا حيًا على تهجير مشابه طال العراقيين على أيدي شذاذ العصر داعش ومن لفّ لفهم: أصابعي ما زالت تمتد إليك. من كل الجهات أيها الباب. أصابعي التي تحبك تمتد الآن من بعيد إليك، أبصرها وخذها بألفة، ارسم تجاعيدها كما ترغب. هي الآن تؤبّن لك أيام الغربة. والبعد لا تتصور أيها الباب البعيد أنها طائر الفينيق وقد زارك في يوم قيامتك أصابعي هذا النص المجنون بالمخيلة والكلمات^(١٥).

ولعل من أهم ما يجسده هذا النص هو أن الذات الساردة تقدم لنا شهادة الذات الإبداعية المعبرة عن موقف أصيل من الحادثة، وعن فلسفة مكثفة، ونوعية، تعيد إنتاج جوهر الذات وألوانها إنتاجاً إبداعياً^(١٦). تحوم في تخوم الهم الإنساني، بوصف الشعر حاضنة مستوعبة لأعمق العلاقات، وأكثرها حساسية. لذلك نجد الذات الشاعرة تتسحب إلى عمق أنويتها لتستجلي همًا إنسانياً كثيراً ما لازم الذات العربية، بل لا يكاد يفارقها منذ عقود طويلة، هو الحزن. ليتوحد لدى تلك الذات الحزان: العاطفي والشعري معاً، ويغدو النص لديها، معادلة للمرأة، من حيث اقترانها الجدلي بالذات العربية، وقدرتها على بعث مكوناتها ولواعجها.

إذ تستعين الذات بطاقة تمتلك قدرة لا متناهية على الخلق وليس المحاكاة تفتح أفق القراءة على فلسفة ترى في سرد هذا الهم نوعاً من التطهير منه، وعلى وفق رؤية مؤدلجة، تسعى الذات إلى سحب القارئ إلى منطقة الحزن، بوصفها المنطقة التي يقف فيها جلّ الناس في البلدان العربية إلى الحد الذي يتحول فيه الحزن إلى ممارسة سلوك سوسيوثقافي متمظهر في كل الحياة، لذلك نجد ومن غير عناء انعكاسه في كل الفنون، ومنها الشعر، الذي ينهل من عاطفة الحب مداده.

سفر في قوس قزح الخليقة

من بيت. (كان) لي. أسكنُ (الآن)، فندقاً في وطني. ويسكنُ جاري

الرصيف. وتحتة بالوعة. ويسكنُ تلميذي الهيكلُ الأسمنتي وصدريقي الذي بعد، لم يكمل مسكنه. مات في بخديدا. وهو يحملُ في الكفِّ صليبه. من بيت. (كان لي)، إلى شبه بيت في

مرمى عنكبوت

يتوددُ إلى مولودٍ في مذود. وأفعى قرب طفلٍ صغير. تمدُّ لسانها. عبر عشبٍ أخضر. نامَ وبده

تتوقُّ إلى رضاعة. وحليبٍ ودفء

من بيت. (كان) لي. إلى مرمى نسيان. نُتشرَّدُ مع سبقٍ إصرار

وكلُّ العالم علينا يتفرّج^(١٧).

تتفتح ذات الساردة الشاعرة عين القارئ على مشهد استنكاري (من بيت. (كان) لي) يحمل في طياته الكثير من التأوه والحسرة والألم المستند إلى الفعل الآني: (أسكنُ (الآن)، فندقاً في وطني. ويسكنُ جاري الرصيف)، على نحو يدخل الذات في صراع متأزم بين تأكيد الغياب (كان لي)، وبين

استدعاء مكانها اليومي المؤلف بحثاً عن ديمومة الحياة. فهنا يتمركز صوت الذات بين مكان أليف مملوك دائمى وبين فندق غير مألوف مؤجر، وهذا التناوب بين الدائمي والمؤقت إنما يثير إيقاع الأسى ولعل أول ما يثر الانتباه بالمقارنة هي ثنائية الفضاء / الانكماش، بين حرية ممارسة طقوس الحياة برحابة، وإنغلاق الذات على الذات، لكن خصوصية التشبيه تفتتح على تشظيات دلالية (ويسكن تلميذي الهيكل الاسمنتي وصديقي الذي بعد، لم يكمل مسكنه. مات في بخديدا)، تحيل إلى ما يمكن رصده من نماذج سلبية أكثر بمفهوم الحياة:

قف. قبل أن تحطم مكتبتى. أيها الجاهل. دع الحمامات في قصائدي تطير. والشمس دغها في شروق كما كانت. والورد دعه هكذا في سرور، يمنح عطره لفضاء العراق الواحد الجميل

دع أيها العاطل عن الحب. دع^(١٨).

إيقاع (دع)، إنما يثير في هذا المقطع قدر كبيراً من اختزال التّرجي والتّفور من الفعل المعادل السلبي للحياة، أما أفعال التحكيم فتتطوي على قدر كبير من العنف والقسوة يتمظهر بواسطته المناخ العدائي والفكر الشرير، وهو فكر يقابل بدلالة الحياة (مكتبتى، الحمامات، قصائدي، شروق، الورد، عطره، الحب)، إذ تتمكن الكاميرا من رصد المشاهد الحية والفعالة التي توجز قصة المكان / المكتبة، بوصفها مكان فكر، بشبكة دوال ضاغطة بكثافة تصوير متتال تتجلى خلاله حالة الصراع بين الفكر المتطرف الذي احتل بيت الشاعر من جهة، وبين الحياة والجمال والذاكرة من جهة أخرى.

منذ أن كنت صغيراً. أبداً لم أفكر أنني سأكبر. وحين كبرت

أبداً لم أفكر أنني سأموث باختياري. أو بخيارات أخرى

كنت حين أسير. التقط العشب الساقط من الشجرة، أرتبه بأصابعي وحناني. وأعيده إلى الشجرة،

وأعيد النور إلى الشمعة المطفأة في ليل أسود. وأخذ الورقة لأسجل ذكرياتي بعد منتصف

الليل. أبداً ما كنت أفكر أنني سأموث بخيارات لا دخل لي فيها. خارج بيتي العشب الذي أحرقة

الليل الأسود، وأصابع بمخلب وحش في معاول لا تهدأ^(١٩).

تبدو دوامه الصراع بين الحياة بوصفها مكاناً أليفاً، وبين الحياة بوصفها موت (الغربة، التهجير)، ويبدو التشبث بالحياة الفعالة والمألوفة أكثر استجابة للحياة خارج فعل الألفة (خارج بيتي العشب الذي أحرقة الليل الأسود)، إذ تصدع الذات الشاعرة بميثاق استعاري يشعرن المكان، البيت المحروق، وهو نمط يسعى إلى شعرنه الواقع، فظهور البيت (أحرقة الليل الأسود)، تحمل قدرة استيعابية عالية لفعل الفقد الحقيقي.

الهوامش:

- (١) مدخل لجامع النص، جبرار جينيت تر: عبد الرحمن أيوب، نشر مشترك: دار الشؤون الثقافية العامة، أفاق عربية بغداد، العراق، ودار توبقال للنشر - الدار البيضاء، المغرب، د. ت.: ٨٦-٨٧.
- (٢) ينظر: نظرية الأجناس الأدبية في القرن العشرين، هينر دوبرو، تر: باقر جاسم محمد، مجلة الثقافة الأجنبية، ع: ٣-٤، ٥٥: ١٩٩٧-٥٦.
- (٣) موسوعة نظرية الأدب: إضاءة تاريخية على قضايا الشكل، م. س. كوركينيان، تر: جميل نصيف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ١٩٨٦: ٨١.
- (٤) الدلالة المرئية: قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، علي جعفر العلق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٢: ١٤٩.
- (٥) قضايا الشعرية، رومان ياكوبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٨: ١٠.
- (٦) السيرة الروائية: إشكالية النوع والتهجين السردي، عبد الله إبراهيم، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، العدد ١، لسنة ١٩٩٨، ١٧:
- (٧) غبطة حضرتي: زهير بردى (شعر)، دار نون للطباعة والنشر والتوزيع، نينوى، ٢٠١٧، ١٥.
- (٨) غبطة حضرتي، ١٥.
- (٩) العلامة الشعرية، قراءات في تقانات القصيدة الجديدة: أ.د. محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠١٠، ٩.
- (١٠) غبطة حضرتي، ٥٤.
- (١١) الدلالي في الإيقاعي، قراءة في قصيدة السلام المباح لعبد الوهاب إسماعيل: أ. د بشرى البستاني، سلسلة تصدرها المديرية العامة لتربية نينوى، مديرية النشاط المدرسي، الشؤون الأدبية (٣٠)، ٢٠١٠، ٢٠.
- (١٢) المونتاج الشعري: في القصيدة العربية المعاصرة، دراسة في أثر مفردات اللسان السينمائي في النص الشعري: ا. د. حمد محمود الدوخي، دار سطور، بغداد، الطبعة الثانية، ٢٠١٧، ١٧.
- (١٣) النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار: عبد الله الخطيب، دار فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨، ٦٠.
- (١٤) مفهوم الرواية السيرية، عمر محمد الطالب، بحث مخطوط: ٧-٨.
- (١٥) غبطة حضرتي، ١٢٢.
- (١٦) رؤيا الحدائث الشعرية: نحو قصيدة عربية جديدة، د. محمد صابر عبيد، منشورات أمانة عمان الكبرى، ط ١، ٢٠٠٥: ٣٤.
- (١٧) غبطة حضرتي، ١١٠.
- (١٨) غبطة حضرتي، ١١٠.
- (١٩) غبطة حضرتي، ١١١.

Resources

The Divan:

- Glee, My Honor: Zuhair Barada (Poetry), Noun House for Printing, Publishing and Distribution, Nineveh, 2017.

Arabic Books:

- 1- The visual significance: readings in the poetry of the modern poem, Ali Jaafar Al-Alaq, Dar Al-Shorouk for Publishing and Distribution, Amman, 1st floor, 2002.
- 2- The semantic in rhythmic, a reading in the poem of peace permitted by Abdel-Wahab Ismail: a. Dr. Bushra Al-Bustani, a series issued by the General Directorate of Education for Nineveh, Directorate of School Activity, Literary Affairs (30), 2010.
- 3- A Poetic Modernity Vision: Towards a New Arabic Poem, Dr. Muhammad Sabir Obaid, Greater Amman Municipality Publications, 1st Edition, 2005.
- 4- Novel biography: The problem of gender and narrative hybridization, Abdullah Ibrahim, Nizwa Magazine, Oman Foundation for Press and Publication, No. 14, 1998.
- 5- Poetic Mark, Readings in New Poem Technologies: Prof. Dr. Muhammad Sabir Obaid, Modern Book World, Jordan, First Edition, 2010.
- 6- Encyclopedia of Literature Theory: Historical Lighting on Shape Issues, M.Korkinian, Ter: Jamil Nassif, General Cultural Affairs House, Baghdad, Iraq, 1986.
- 7- The poetic montage: In the contemporary Arabic poem, a study on the effect of the vocabulary of the cinematic tongue in the poetic text: Dr. Ahmed Mahmoud Al-Doukhi, Dar lines, Baghdad, second edition, 2017.
- 8- The linguistic fabric in the novels of Al-Taher Wattar: Abdullah Al-Khatib, Dar Fadaat for Publishing and Distribution, Jordan, first edition, 2008.

Translated Books:

- 1- Poetic Issues, Roman Jacobson, translation: Muhammad al-Wali and Mubarak Hanoun, Toubkal Publishing House, Casablanca, 1st edition, 1988.
- 2- Entrance to the Text Collector, Gerard Genet Ter: Abd al-Rahman Ayoub, joint publication: House of General Cultural Affairs, Arab Horizons - Baghdad, Iraq, and Toubkal Publishing House - Casablanca, Morocco, d. T.
- 3- The Theory of Literary Races in the Twentieth Century, Heather Dobro, Ter: Baqir Jasim Muhammad, Journal of Foreign Culture, p. 3-4, 1997: 55.

Researches:

- The Concept of the Syriac Novel: Omar Muhammad Al-Talib, a manuscript search

المصادر

الديوان:

- غبطة حضرتي: زهير بردى (شعر)، دار نون للطباعة والنشر والتوزيع، نينوى، ٢٠١٧.

الكتب العربية:

- ١- الدلالة المرئية: قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، علي جعفر العلاق، دار الشروق لنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٢.
- ٢- الدلالي في الإيقاعي، قراءة في قصيدة السلام المباح لعبد الوهاب إسماعيل: ا. د. بشرى البستاني، سلسلة تصدرها المديرية العامة لتربية نينوى، مديرية النشاط المدرسي، الشؤون الأدبية (٣٠)، ٢٠١٠.
- ٣- رؤيا الحداثة الشعرية: نحو قصيدة عربية جديدة، د. محمد صابر عبيد، منشورات أمانة عمان الكبرى، ط ١، ٢٠٠٥.
- ٤- السيرة الروائية: إشكالية النوع والتهجين السردي، عبد الله إبراهيم، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، العدد ١٤، لسنة ١٩٩٨.
- ٥- العلامة الشعرية، قراءات في تقانات القصيدة الجديدة: ا. د. محمد صابر عبيد، عالم الكتب الحديث، الاردن، الطبعة الاولى، ٢٠١٠.
- ٦- موسوعة نظرية الأدب: إضاءة تاريخية على قضايا الشكل، م. س. كوركينيان، تر: جميل نصيف، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ١٩٨٦.
- ٧- المونتاج الشعري: في القصيدة العربية المعاصرة، دراسة في أثر مفردات اللسان السينمائي في النص الشعري: ا. د. حمد محمود الدوخي، دار سطور، بغداد، الطبعة الثانية، ٢٠١٧.
- ٨- النسيج اللغوي في روايات الطاهر وطار: عبد الله الخطيب، دار فضاءات للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.

الكتب المترجمة:

- ١- قضايا الشعرية، رومان ياكوبسون، ترجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط ١، ١٩٨٨.
- ٢- مدخل لجامع النص، جيرار جينيت تر: عبد الرحمن أيوب، نشر مشترك: دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية - بغداد، العراق، ودار توبقال للنشر - الدار البيضاء، المغرب، د. ت.
- ٣- نظرية الأجناس الأدبية في القرن العشرين، هيزر دوبرو، تر: باقر جاسم محمد، مجلة الثقافة الأجنبية، ع: ٣-٤، ١٩٩٧:٥٥.

الأبحاث:

- مفهوم الرواية السيرية: عمر محمد الطالب، بحث مخطوط.